مجلة عصور الجديدة- فصلية مصنفة ج- المجلد 11- العدد 2 (جوان) 1442هـ/2021م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مشكل الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى
(1069- 1139هـ/1659- 1727م)

the borders problem between Algeria and Morocco (1069 / 1659 -1139 AH / 1727 AD)

اسم ولقب المؤلف المرسل: زينب جعني- Djani Zineb صص 320-332
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- جامعة غرداية. (الجزائر)
البريد الإلكتروني: djani.zineb@univ-ghardaia.dz، zinab.j47@gmail.com

تاريخ استقبال المقال:2021/03/06 تاريخ المراجعة:2021/04/18 تاريخ القبول: 2021/05/19

الملخص: إنّ موقع الجزائر والمغرب المتجاورتين أدى إلى قيام مشاكل حدودية بينهما، وإن لم تكن هناك حدود مرسومة وثابتة، إلّا أنّ واد ملوية كان غالبا هو الحد الفاصل بينهما منذ القدم، ومع بداية القرن 10هـ/16م، ومجيء قوى جديدة والمتمثلة في العثمانيين في الجزائر، والسعديين ثم العلويين منتصف القرن 11هـ/17م في المغرب الأقصى، خاصة هذا الأخير الذي عمل على توسيع نفوذه شرقا بتوجيه حملات عسكرية على الجزائر كلّما أُتيحت له الفرصة لاسيما مع بداية الحكم العلوي، ما جعل العثمانيين في الجزائر يعيدون طرح فكرة رسم الحدود مع المغرب، وذلك لحصر العلويين ضمن نطاق جغرافي محدد، لا يهدد وجودهم نتيجة التوتر وانعدام الثقة بينهما، واستطاعوا الحصول على تعهد من الحاكم العلوي محمد الأول، لكنّ الحكام الذين جاؤوا بعده لم يلتزموا بذلك، فقد تغير الحد الفاصل بين واد التافنة تارة وواد ملوية تارة أخرى.

ويعالج هذا المقال وفي إطار العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في جانبها السياسي مشكل الحدود خلال الفترة الممتدة من 1069 إلى 1139هـ(1659-1727م)، مُحاولين تسليط الضوء على وضعية الحدود قبل العهد العلوي ثم التركيز على الحدود في هذه الفترة بين الحكام العثمانيين والعلويين الأوائل،ثم إدراج نظرة كل من العثمانيين والمغاربة لمسألة الحدود .

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ المغرب؛ مشكل؛ العلاقات؛ الحدود؛ العلويين؛ العثمانيين؛ ملوية؛ تافنة؛ الصراع.

ABSTRACT: The location of neighbouring betweenAlgeria and Morocco led to border problems. Despite the absence of drawn and established borders, the Valley of Melloya was often the boundary between them since ancient times. In fact,the beginning of the sixth century witnessed the coming of Ottomans in Algeria, the Saadis and then the Alawites in the middle of the seventeenth century in Maroocco, especially the latter, who expanded his influence Eastward by directing military campaigns on Algeria whenever he had the opportunity. Moreover, the beginning of the Alawite rule pushed the Ottomans in Algeria to reintroduce the idea of drawing the border, in order to limit the Alawites within a specific geographical range and avoid any threat for their existence as a result of tension and mistrust between them. They were finally able to get a pledge from the Alawite ruler Mohamed I, but the rulers who came after him didn'trespect the deal, this was in fact due the shift in the political borders of the Tavana Valley on one hand, and Valley of Melloya on the other hand . This article, will study the relations between Algeria and Marocco in its political aspect, with the problem of borders during the period from 1727 AD, trying to Lighting the status of the borders before the sixth century and then focus on the borders in this period between the Ottoman rulers and the early Alawites, and then include the view of both the Ottomans and The Moroccans on the borders problem.

Keywords: Algeria; Morocco; problem; relations; borders; Alawites; Ottomans; Taphina;conflict.

المقدمة: شهدت الحدود الجزائرية المغربية نزاعات متعددة، خاصة خلال تواجد الحكم العثماني في الجزائر، والذي لوّح بورقة الحدود لحكام المغرب حفاظا على ماورثوه من السلطة الزيانية، بعد محاولات المغاربة التوسع على حساب الأراضي الجزائرية، كسبيل وقائي قد يضمن الحماية لنفوذهم بالمنطقة، ويحول بشكل قانوني دون اندفاع الحكام المغاربة باتجاه مجالات نفوذ العثمانيين، وفي منتصف القرن السابع عشر، ومع ضعف السلطة المركزية بالجزائر، وظهور دولة العلويين بالمغرب، تقدم هؤلاء شرق الملوية جنوب تلمسان، توج بتعهد العلويين الأوائل، واعترافهم بوجود حد جيوسياسي فاصل بين مناطق نفوذ العثمانيين والمغاربة، لتتأرجح الحدود الفاصلة بين واد التافنة تارة وواد ملوية تارة أخرى.

ولمسألة الحدود دور فاعل في توجيه العلاقات بين العثمانيين والعلويين ولاتزال إشكالية الحدود إلى اليوم محل خلاف، خاصة في ظل الأطروحات الواهية من قبل المغاربة، مفادها أن جل الأراضي الغربية الجزائرية هي مغربية منحها الاستعمار الفرنسي للجزائر، فماهي وضعية الحدود بين الجزائر العثمانية والحكام العلويين الأوائل ؟وماهي نظرة كل من العثمانيين والمغاربة للحدود ؟

1- لمحة عن وضعية الحدود الجزائرية المغربية قبل حكم العلويين: قبل الحديث عن وضعية الحدود[1] بين الجزائر والمغرب الأقصى، بدءا من النصف الثاني للقرن 11هـ/17م، كان لابد من دراسة وضعية الحدود قبل هذه الفترة .

لقد كان لمشكلة الحدود دور مؤثر في العلاقات الجزائرية المغربية، ومسألة الحدود هي مسألة جديدة ظهرت في البلدان المغاربية، مع مجيء العثمانيين خاصة بعد توسعات حكام المغرب، سواء السعديين أو العلويين على الحدود الغربية للجزائر، وحصرهم ضمن نطاق جغرافي محدد لايهدد وجودهم، نتيجة التوتر وانعدام الثقة بينهما، وتخوف العثمانيين من التحالف الإسباني المغربي ضدهم[2]، من توسع حكام المغرب، وانضمام القبائل الجزائرية لهم،لأنهم يتمتعون بالنسب الشريف الذي منحهم الأولوية لدى السكان[3]، فقد حاولوا شن عدة هجومات خاصة في عهد محمد الشيخ السعدي، وطرحت مسألة الحدود، إذ إنّ الفهم الذي كان سائدا لمسألة الحدود يتميز بالشمولية، فهم ينطلقون من فكرة أن الحد الفاصل يعود إلى أبعاده الدينية والثقافية والحضارية، لا في بعده الجغرافي خلال هذه الفترة هو أن دار الإسلام مجال جغرافي وفضاء حضاري يحق للمسلم أن يستوطن في مختلف جهاته، وأن الحدود لا يمكن أن تكون إلا بين دار الإسلام ودار الحرب[4]، ولكن الواقع أنّ الحدود السياسية الفاصلة بمفهومها اليوم هي من وضع الاستعمار[5].

وعن وضعية الحدود قبل مجيء العثمانيين كان واد ملوية الحد الفاصل بين الدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة المرينية في المغرب الأقصى، وبحلول القرن السادس عشر، وبعد قدوم العثمانيين إلى الجزائر واستقرارهم بالمنطقة، وقيام الدولة السعدية بالمغرب ما أدى بالبلدين الدخول في صراعات. فالمنطقة الحدودية للأيالة الجزائرية غربا، كانت تتضمن مدينة وجدة وغرسيف التي استولى عليها العثمانيون سنة 954هـ /1548م، مستردين بذلك حدود نطاق الدولة الزيانية يصل إلى واد ملوية،أما نطاق السعديين فيبدأ

من إمارة دبدو، وحجر بادس في الشمال[6]، وبعد توسع السعديين في المناطق الغربية للجزائر،وضمهم لقبائل مثل قبيلة الأحلاف، وبني يزناسن، التي دعمت الجيش السعدي لاحتلال تلمسان [7]، التي دخلها يوم الاثنين 23 جمادى الأولى 957هـ/1550م، إلا أنّ العثمانيين تمكنوا منهم، وانسحبوا إلى ماوراء نهر ملوية[8]، وكان هدف السعديين التوسع، فنشأت مشكلة الحدود بين الجزائر والمغرب[9]، ورفض محمد الشيخ الاعتراف بسلطة العثمانيين،فحركوا قضية الحدود بين الجزائر والمغرب، التي طرحت من قبل السلطان العثماني الذي أرسل فرمانا إلى الجزائر، جاء فيه إرسال وفد إلى المغرب، على رأسه محمد بن علي الخروبي الطرابلسي سنة 1552م، وفاوضوه لتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب من ساحل البحر إلى بداية الصحراء[10]، ويذكر هايدو أن قبول محمد الشيخ، لم يأت إلا بعد التقاء أبي حسون الوطاسي معه وحاول ابنه عبد الله الغالب التوسع، وتمكن من احتلال تلمسان ثم الخروج منها 967هـ/1560م[11]، ثم توقفت أطماع السعديين في الشمال الشرقي، أما في الجنوب فقد استولى أحمد المنصور على مدينة فجيج التي كانت تدفع الضرائب لحاكم الجزائر،كما أخضع العثمانيون توات وتيكورارين سنتي 1579م، فرغب المغاربة في التوسع جنوبا في هذه المناطق، وذلك سنة 1582م[12]، حيث استولى عليها سلطان المغرب أحمد المنصور سنة 992هـ/1584م إلى أن تدخل السلطان العثماني لصالح الجزائر، وظلّ واد ملوية حدا فاصلا بين البلدين[13].

2- مسألة الحدود بين العثمانيين في الجزائر والحكام العلويين الأوائل: بقيت وضعية الحدود الموروثة بين الجزائر والمغرب على ماهي عليه، واستمر واد ملوية حدا فاصلا، لحين ظهور إمارة العلويين في سجلماسة في المغرب، مع وجود قوى محلية أخرى منها : العياشي في الشمال، الدلائي في الغرب، والسملالي في الجنوب مع وجود السلطة السعدية التي عرفت الضعف في مراكش، ومحاولة العلويين التوسع على حساب الإمارات المتجزئة[14].

كرّس المولى محمد العلوي كل جهوده لإخضاع قبائل شرق المغرب، وكذا الحدود الغربية للجزائر مستغلا ضعف السلطة المركزية الجزائرية، حيث اتجه نحو وجدة سنة 1060هـ/1650م،والتي انقسمت بين مؤيد له، ومعارض له وهم مؤيدوا العثمانيين، ثم عبر في اتجاه بسيط أنجاد[15]، وقرر في 1657/1068م أن يتصل بأهالي الأطراف الشرقية وبخاصة القبائل المعقلية التي بايعته وعلى رأسها قبائل سقونة والعمارنة، ودخلت تحت

رايته دخيسة، وذوو منيع وآل صباح والمعاضد ولادخام وحميان، واعتمد عليها، إذ أنها كانت في خلاف مع العثمانيين، لذلك لم يجد محمد الشريف صعوبة في استقطابها، ثم بدأ بغاراته وهجوماته على المناطق والمدن والقبائل التابعة لباشوية الجزائر، بدءا من التي تلي شرق المغرب ثم التي تليها[16]. ونلاحظ المولى محمد قد توجه شرقا نحو المناطق الحدودية مع الجزائر، ولم يتوجه داخل المغرب لإعادة توحيده خاصة أن المغرب كان مقسما، لأنه كان يدرك أن القبائل العربية الحدودية ليست على وفاق مع العثمانيين، فانضمت إليه قبائل المنطقة، واعتمد عليها[17]، وقام بصحبة هذه القبائل بغزو الغاسول، وعين ماضي والأغواط، وعاد محملا بالغنائم ولم تسلم منه غير قبائل سويد وحصين التي فرت إلى بني راشد[18]، وتوسعت غارات محمد الشريف لمنطقة توات وأوجرت[19]. وقد كان أسلوبه في ذلك يعتمد على حرب الكر والفر، فلم يستطع العثمانيون التمكن منه، ويذكر ابن زيدان أن العثمانيين :"كانوا لايتمكنون من حربه لو أراد، وذلك لأنه يغير ويظفر وينتهب، فلا يمكنهم التعلق بأذياله، ولاقطع فراخه وأمياله"[20].

فتوسع مجال إمارته الناشئة وتعزّزت قواعدها المادية والبشرية، وتمكن من الربط بين مراكزه الجنوبية (تافيلالت، توات، درعة)، والجهات الشمالية الشرقية من البلاد المغربية (وجدة، بني يزناسن، أنكاد، فجيج)، وتعززت إمكانيات العلويين لإحياء الدور المركزي الذي طالما لعبه الخط التجاري الرابط بين سجلماسة وبين الأقاليم الشمالية الشرقية[21]، بعد النهب والسلب الذي تعرضت له الأراضي الجزائرية من قبل المولى محمد، كان لزاما على العثمانيين أن يتخذوا موقفا معينا، ونظرا لقلة التموين وانتشار الوباء، وضعف السلطة في الجزائر، لجأ باشا الجزائر إلى إيفاد سفارة للمولى محمد الشريف في 16 رجب 1064هـ/1جوان 1654، فقد اقتنع العثمانيون بضرورة التوصل إلى تسوية سياسية مع محمد الشريف العلوي،ولجأوا إلى مسألة الحدود في محاولة لاستدراجه، والحيلولة دون ماقد تفرزه تحركاته العسكرية من أحداث ومخاطر تهدد كيانهم[22]، وجاء في الرسالة: "خرقت على الأيالة العثمانية جلباب صونها الجدير من وجدة الأبلق إلى حدود الجريدّ[23]، وأعطاهم عهدا بأن لايتجاوز واد ملوية، فقبل الصلح مع العثمانيين بعد أن وفدوا إليه مرتين إلى سجلماسة، فتحصلوا على تعهد مكتوب يقضي بتحديد الحدود بين الجزائر

والمغرب، وعدم مهاجمتهم، والتسليم بشرعية وجودهم في المنطقة[24]، وبهذا وجه المولى محمد اهتمامه لتوسيع نفوذه داخليا، وتوحيد المغرب تحت سلطة علوية مركزية موحدة.

وقد اعتبر العثمانيون الصلح بينهم بمثابة اتفاق حول الحدود، وكسند قانوني أشهروه في وجه السلاطين العلويين الذين جاءوا بعد المولى محمد، سواء في عهد الرشيد أو في عهد المولى إسماعيل الذي وجه ثلاث حملات عسكرية، أسفرت عن تحديد واد التافنا حدا فاصلا بين العثمانيين والعلويين شمالا، في حين ظلت الجهات الجنوبية الغربية والوسطى بمنأى عن أي تحديد[25].

وكانت سياسة العثمانيين تجاه المغرب خطة لإيقاف الطموح المغربي عن التوسع في الأراضي الجزائرية، بالطرق السياسية لا العسكرية، مما جعل قوة العلويين ودولتهم صغيرة محصورة في المغرب الأقصى، فتعجز عن توحيد المغرب العربي أو التهديد بحق الخلافة، فتضمن استمرار الوجود العثماني في المغرب العربي وقيادة العثمانيين للخلافة[26].

وقد اقتفى المولى الرشيد خطى أخيه، حين توجه إلى المناطق الشرقية للمغرب، بعد أن غادرها أخوه إلى تافيلالت، وضم إليه عددا من القبائل القريبة من تلمسان، منها بني معقل وبني يزناسن، كما كون جيش شراقة، وعرفوا بهذا الاسم لوجودهم شرق المغرب، حيث جمعهم من بني عامر والشجع،وطلب عثمانو الجزائر من المولى الرشيد أن يتخلى عن التوسع في بلادهم، وأن يكون الحد الفاصل بينهم بخط التافنة[27] سنة 1075هـ/1665م في عهد الآغا علي باشا (1665م-1671م)، وقد شملت المعاهدة المناطق الشمالية فقط، فقام المولى الرشيد بالتوسع جنوب الجزائر،ووصل نفوذه إلى مناطق قريبة من الأغواط جنوب الجريد، وذكر الناصري أن هذه المنطقة تعرف بآبار السلطان[28]، لكن الرشيد نقض المعاهدة بعد سيطرته على الزاوية الدلائية سنة 1079هـ/1668م،وأخضع قبيلة بني يزناسن،واتجه جنوبا وسيطر على فجيج[29].

ولما تولى المولى إسماعيل الحكم سنة 1672م، ورغم تجدد الاتفاق بين العثمانيين والمغاربة، حيث طلب العثمانيون كما ذكر صاحب كتاب الاستقصاء من المولى إسماعيل أن يحذو حذو إخوته الذين تولوا الحكم قبله : "....وبعثوا إليه بكتاب أخيه المولى محمد بن الشريف الذي كان بعث به إليهم مع رسلهم ...،وبكتاب أخيه المولى الرشيد الذي فيه الحد بينه وبينهم، فوقع الصلح على وادي التافنا"[30]، لكن إسماعيل لم يلتزم بها ورفض قبول

واد التافنا حدا فاصلا بينهما، ماجعل البلدين يعرفان توترا كبيرا في الفترة الإسماعيلية، خاصة بعد أن عمل العثمانيون في الجزائر على الاتفاق مع أعداء المولى إسماعيل داخل المغرب،كالخضر غيلان، وآل النقسيس بتطوان، والدلائيين في سلا،وتادلا، وأبي حسون السملالي في درعة، أحمد بن محرز والحران، وابنه محمد العالم في مراكش وتارودانت[31].

وحاول المولى إسماعيل توسيع رقعة دولته شرقا بغرب الجزائر، فكان رد الفعل المغربي سريعا على تدخل العثمانيين في شؤون المغرب،فقام المولى إسماعيل بعدة حملات، حيث شنّ هجوما على المناطق الصحراوية للجزائر في منطقتي قورارة وتوات سنة 1676م، ثم الهجوم على قبائل العربية شرق المغرب ومنها: منيع، دخيسة، حميان، المهاية، العمور، أولاد جرير، ستونة، بني عامر، الحشم، وضمها له، ودعم بها جيشه من أجل الهجوم على المناطق الشمالية الغربية للجزائر، فاستولى المولى إسماعيل على وجدة، ونقل إليها القبائل العربية من ناحية مراكش، وعزز حامية المدينة،وأسس عددا من القلاع حولها ونظم قبائل سهل وجدة، ثم واصل توسعاته ووصل قرب نهر الشلف، ولكن القوات العثمانية كانت له بالمرصاد، وجرت بينه وبين العثمانيين معركة القويعة سنة 1089هـ/1679م، ولكن القوات العثمانية كانت له بالمرصاد[32]، ثم أعقب ذلك ترسيم الحدود السياسية بين المملكتين على اعتبار وادي التافنة حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب سنة 1679م[33].

ثم قام المولى إسماعيل بحملة سنة 1682م، ودحر العثمانيين في المناطق التي كانت تابعة لهم، واستغرقت تحركاته مدة سنة في المناطق الغربية للجزائر[34]، وتوقفت حملاته على الجزائر ولم تستأنف إلا سنة 1104هـ/1692م، فقام بهجوم مشترك مع باي تونس، إلا أنّ عدم التنسيق الجيد بين تحركات قواتهما في الوقت المحدد، أسفر عن هزيمة التونسيين أمام الداي شعبان، ثم التفرغ للجيش المغربي وهزيمته في معركة المشارع 1692/1103م، ودحره حتى أسوار فاس، فنتج عنها إرسال وفد للصلح من قبل المولى إسماعيل[35]، وبعد الهزيمة طبع على العلاقات المهادنة ووقع معاهدة صلح في وجدة، وقد اتفق على عدة نقاط أهمها:

- تخلي بصورة تامة عن الحقوق التي يدعونها في الأراضي الجزائرية ومشاريعهم التوسعية فيها.
- جعل واد ملوية فاصلا بين البلدين[36].

وفي سنة 1106هـ/1695م شن المولى زيدان ابن المولى إسماعيل حملة على تلمسان، فهزمه العثمانيون واستمرت غاراته، ووصل إلى معسكر عاصمة بايلك الغرب، ثم قام المولى اسماعيل بحملة توسعية ووصل إلى جديوية قرب الشلف، لكن الداي مصطفى تصدى له وهزمه في 28 أفريل 1701م، وبعد الهزيمة طبع على العلاقات المهادنة، ولكن المولى اسماعيل غض الطرف عن فكرة التوسع شرقا عن طريق تلمسان، وأخذ الطريق للجنوب، حيث استطاع أحد أحفاده أن يضع حامية في قصر بوسمغون[37] بين عين الصفراء والبيض، وظلت قائمة بين سنتي (1710-1713م)، لكن المولى إسماعيل لم يتمكن من ذلك بسبب انشغاله بالثورات الداخلية[38]. ولم تؤثر هذه الحملة على وضعية الحدود وظل واد ملوية حدا فاصلا بين الجزائر والمغرب[39].

3- نظرة العثمانيين والمغاربة للحدود :

1.3- نظرة العثمانيين للحدود : لقد أثار موضوع الحدود بين الجزائر والمغرب جدالا واسعا، وقد اعتمد العثمانيون على عدة مصادر ذكرت أن وادي ملوية هو الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب، ومنها ماكانت في العهد القديم أو الوسيط أو قبيل وبداية وجودهم منها ماذكره بربروجر أنّ واد ملوية حد طبيعي بين البلدين منذ العهود القديمة، بقوله: "هذا العزل الطبيعي، مكن في عهد الممالك المحلية من التمييز بين مملكتي فاس وتلمسان بنفس الحدود، وبالضبط على ماكانت عليه بين الموريطانيتين الطنجية والقيصرية"[40]، ومن خلال هذا نجد أن الحدود بين الدولة الزيانية والمرينية هي نفس الحدود في العهد القديم، ونجد المصادر الإسلامية تعتبر وادي ملوية حدا فاصلا، فقد ذكر ابن خلدون في معرض حديثه عن حدود المغرب الأقصى: "وأما المغرب الأقصى... وهو مابين وادي ملوية من جهة الشرق إلى آسفي حاضرة البحر المحيط، وجبال درن من جهة الغرب"[41].

أما الرحالة الجغرافيون في بداية العصر الحديث فقد أشار حسن الوزان "أنّ الحد الغربي لمملكة تلمسان هما وادي زا وملوية"[42] كما أن عبد الله التنسي ت889هـ[43] ذكر أن دولة بني زيان كانت تتسع، حين تكون في أوج قوتها إلى وادي ملوية ووادي زا غربا"، كما ذكر صاحب الثغر الجماني: "المغرب الأقصى حده من نهر ملوية إلى حاضرة آسفي حاضرة المحيط... والمغرب الأوسط حده من وادي ملوية إلى بجاية... وقاعدته في القديم تلمسان، ولما تملكه الأتراك صارت قاعدته الجزائر..."[44].

وعن حدود البلدين عن بني مرين حين سيطروا على وجدة خلال القرن 7هـ/13م كانت الحدود بينهم وبين الزيانيين في منطقة تاوريرت، ورسم لها خط يمر جنوب وجدة إلى فكيك وتيكورارين جنوبا، ويصل إلى غربي ندرومة شمالا في الجهة الغربية للجزائر[45].

2.3- نظرة المغاربة للحدود: لم يعترف الحكام المغاربة بالحدود، فكثيرا ماتجاوزوا واد ملوية، وأخضعوا القبائل الحدودية التي لم تكن تولي أهمية للحدود، فكان تعيين الحدود يخضع لضوابط اجتماعية واقتصادية[46]، وقد ذكر أن الحدود في عهد الدولة العلوية مع الجزائر كانت وادي التافنة، والتي وضعت كحد فاصل مع حكم المولى محمد بن الشريف من خلال رسالته: "وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لا قطعت وادي تافنا إلى ناجيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله..."[47]. ويذكر أبو راس الناصري في كتابه، حوارا جرى بينه وبين المولى سليمان حول مسألة الحدود بين المغرب والجزائر، قال: "وسألني يوما نصره الله عن حد المغرب الأقصى، فقلت: قال ابن خلدون "حده وجدة"، وجدد ذلك الحد جدك السلطان مولاي إسماعيل وأتراك الجزائر فقال لي: إني رأيت حده تافنة، قال: "فسكتُ خشية منه"[48]. وذكر الإفراني: "وبلغ فيما وراء النيل وانتشرت دولته في عماير السودان... وامتدت مملكته من جهة الشرق إلى قرب بلاد بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان[49]، كما أن كتب الرحلات المغربية والتي تعتبر مصدرا أساسيا وهاما في كتابة تاريخ أي بلد، ولاتقل أهمية عن المصادر الأخرى، فقد أولى الرحالة المغاربة اهتمامهم بمعرفة الحدود السياسية والإدارية للبلدان خاصة حدودهم الشرقية مع الجزائر،خلال رحلاتهم إلى الحج، فدونوا في رحلاتهم نظرة مختصرة عن الحدود،وامتداد سلطة الدولة العلوية و بذكر المناطق التي امتد لها حكم السلاطين المغاربة، سواء كانت سلطة روحية،كالدعاء لهم بالخطب الدينية والولاء، أو بدفع الضرائب والزكاة، أو بوجود ولاة السلاطين ونوابهم في المنطقة، أو من خلال العملة المتداولة في المنطقة[50]، ذلك ماذكره العياشي في رحلته أن أهل توات يطلقون على المثقال الأربعيني بالمثقال شريفي، نسبة للمولى محمد بن الشريف، وأن بلاد توات كانت تحت سلطته[51]، وامتدت حتى إلى أوكروت، وقد ذكر العياشي الذي حج عام 1059هـ في خروج الركب من بلاد أوجرت وقال: "وهي آخر البلاد التي هي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماسة رحمه الله وعفا عنه"[52]. وقصر أوجروت هو من المناطق التابعة لمنطقة توات، وتوغلت الحدود في الصحراء الشرقية الجزائرية في بعض الفترات، فيذكر

الحسن اليوسي أنه وجد عاملا لمولاي إسماعيل بعين ماضي[53]، وخلال هذه الفترة فرض عبد الملك ضرائب على عين ماضي والأغواط وتجموت، ويذكر الهشتوكي في رحلته: "أنه قدم من الغرب واستقر بفكيك نحو ثمانية أشهر، وسير قائده إلى جبل عمور، وجمع العرب ليتجسس له الأخبار،ويخبر بما يصدر عنهم ليعلم حالهم بذلك"، كما صادر ممتلكاتها وسلبها، ويذكر أيضا: "وفعل خديمه فعلته الشنيعة في إفقار القبائل، وإهانتها مثل اتهامها بمذهب الاعتزال الذي كان يعد منقصة في الدين"[54].

وقد ذكر المرابط الزرهوني الذي أدى فريضة الحج سنة 1122هـ موضحا حدود المغرب في العهد الإسماعيلي، فقال:"بلغ ملك المولى إسماعيل إلى بلاد الصحراء من ناحية الجنوب، وإلى بلاد المرابطين اللمثونيين، وإلى الغزلان وماولاها من العرب بناحية وادي درعة، وبلاد توات كلها وسجلماسة وإلى بلاد فكيك بناحية المشرق وفيه قصبته وخليفته، وإلى بلاد بوسمغون على خمس مراحل، وهو حد سكته في ناحية الجريد"، كما يذكر وجود أمراء وعمال بها فقال: "ووجدنا في حجة 1122هـ ولد السلطان مولاي الحسن نازلا بقرية تاجمت"[55].

أما أبو محمد عبد القادر الإسحاقي[56] فرسم الحدود المغربية في عهد المولى إسماعيل وأوصلها إلى قرية عبد المجيد قرب بسكرة، والتقى بشيخها أبي زيد العباسي الذي سبق له وأن بايع المولى إسماعيل وحصل منه على ظهير تعيينه، فقد ذكر للإسحاقي أنّه كان يأنف من حكم الأتراك فمال إلى المغرب[57].

لكن في الواقع نجد أنّ منظور الرحالة لأراضي الصحراء الجزائرية على أساس أنها تحت سيطرة السلاطين العلوية فيها جانب من الصحة، إذ كانت فترة قصيرة امتدت خلالها سيطرة المغاربة على بوسمغون، كما أن قرب منطقة توات من المغرب، وبما أن المنطقة كانت منطقة عبور لأغلب رحلات الحج،فقد كان التعامل بالمثقال الشريفي المغربي في تلك الفترة، كما أن هناك عدة مناطق في الصحراء وحتى في الجهة الغربية الشمالية،كانوا يعلنون الولاء للسلطان المغربي بحكم النسب الشريف، لكن العثمانيين رغم اهتمامهم بالمنطقة الشمالية،لم يغفلوا إخضاع الصحراء الجزائرية خاصة في جباية الضرائب وفرض الولاء.

تؤكد ذلك بعض الإشارات الواردة في الرحلة العياشية، خلال زيارته لإقليم توات قبر الولي الصالح محمد بن صالح مشيرا إلى أن شيخه دفين مكناس بمغربه، أي أن هذه المنطقة غير تابعة للمغرب الأقصى[58]. هذه الكتابات التي تغذت بالذاتية قبل الموضوعية، التي هي من سمات المؤرخ ووجب عليه التحلي بها، جعلت إشكالية الحدود تتطور رغم مرور قرون من الزمن وأنّ أراضيها قبل الحدود الحالية كانت غير ماهي عليه اليوم، لكننا نجد العديد من الكتابات تؤكد على أن الاستعمار أبقى على الحدود السابقة بين العثمانيين في الجزائر، وبين المغرب، بل إنّ الجزائر فقدت عدة مناطق منها وجدة وفجيج، وخلال وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر عقد مع المغرب الأقصى معاهدة لالة مغنية في 18مارس 1845م التي رسمت فيها الحدود الجزائرية المغربية[59].

الخاتمة: وفي الأخير يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

- التكوين الطبيعي للمنطقة كان كتلة واحدة متداخلة جغرافيا مترابطة تاريخيا، ومتجانسة بشريا، رغم محاولات وضع الحدود السياسية الفاصلة بين البلدين إلا أن الشعوب كانت تعتبر المنطقة دار سلام فهي بمثابة مجال جغرافي،وفضاء حضاري، يحق للمسلم أيا كان أن ينتقل أو يستوطن في مختلف جهاتها .

- اعتمدت الجزائر والمغرب على الحدود الطبيعية قبل وبعد مجيء العثمانيين، حيث كان واد ملوية حدا فاصلا، ليتغير مع بداية الدولة العلوية إلى واد التافنا.

- إنّ انضمام الجزائر إلى الخلافة العثمانية مثل مرحلة انتقالية جديدة في تاريخ الجزائر، إذ شهد ميلاد دولة جزائرية جديدة ممتدة تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن، حاولت بكل السبل الحفاظ على حدود الدول السابقة لها.

- إنّ العلاقة بين العثمانيين والعلويين قد شهدت عدة توترات، حيث رغب السلاطين العلويين خاصة المولى إسماعيل في التوسع نحو الشرق، والسيطرة على تلمسان، وبسبب ذلك وقعت عدة معارك بينه وبين العثمانيين الذين كانت حملاتهم على المغرب خلال هذه الفترة كرد فعل على توسعات الحكام المغاربة على الأراضي الغربية للجزائر، إذ وصلت في عهد الداي شعبان إلى مشارف فاس لكنه غلّب أسلوب المهادنة وعقد الصلح.

- أخفق العثمانيون في مد سيطرتهم على المغرب الأقصى، رغم محاولاتهم اتباع سياسة الاحتواء خاصة خلال فترة الحكام السعديين الأوائل،بل إنّ حكام المغرب حوّلوا العثمانيين

من منطلق التوسع ومحاولة تجسيد مشروعهم في عثمنة المغرب الأقصى إلى منطلق الدفاع خاصة في بداية الحكم العلوي أين قاموا بتوجيه العديد من الحملات العسكرية رغبة في التوسع، وخوفا من امتداد قوة العثمانيين إلى أراضيهم .

- تمّ ارسال عدة رسائل و عقد عدة اتفاقيات صلح بغرض تحديد الحدود الفاصلة بين البلدين.

- رغم محاولة الدول الأوربية التدخل في الصراع بين الجزائر والمغرب، إلا أنّ الجزائريين والمغاربة لم يتحالفوا معها ضد بعضهم البعض.

- السيطرة على القبائل والتخوف من تذبذب ولائها، وانضمامها للسلطة الحاكمة في المغرب سواء السعدية أو العلوية، ومساعدة القبائل لهما في حملاتهم، جعل العثمانيين يخرجون ورقة الحدود بين المغرب والجزائر، بهدف مراقبة تلك القبائل وضبط تحركاتها، وذلك لمنع تسرب النفوذ المغربي إلى الجزائر، فكان لهم دور في إدخال مفهوم الحدود السياسية إلى المنطقة.

- تغير الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى مرارا من ملوية إلى تافنة، وانتهت بأخذ وجدة وفجيج من الجزائر، برسم معاهدة مغنية بين الاحتلال الفرنسي والمغرب الأقصى، ورغم الفصل في قضية الحدود لازالت العلاقات الجزائرية المغربية حبيسة لهذه القضية.

الهوامش:

1- مفهوم الحدود: لغة : يعرف الفيروز أبادي الحد أنه الحاجز بين الشيئين ومنتهى الشيء. أما إصطلاحا : الحدود السياسية لأي بلد هي معالمه الجغرافية التي تعين إقليم هذه الدولة أو تلك، وهي الإطار الجغرافي الذي يحدد ويعين إقليم الدولة، والتي بداخله تمارس سيادته، وعنده تبدأ سياسة دولة مجاورة أخرى. ينظر: وضاح زيتون- المعجم السياسي- ط1- دار أسامة للنشر، الأردن - 2010- ص137.

2- برابح الشيخ- التطور التاريخي للحدود - في مجلة دراسات وأبحاث - العدد27 - الجزائر- 2017-ص26 .

3- خالد طحطح- العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث القرن السادس عشر أواخر القرن الثامن عشر-في مجلة كان التاريخية - العدد14- 2011- ص110.----4- قدور بوزياني- البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر(ق10/11هـ-16/17م) - تنسيق: عبد الرحمان المودن- منشور بـ(المغارب في العهد العثماني) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 41 - ط1-منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-المغرب- 1995- ص25.

5- أحمد طراين- التجزئة العربية كي تحققت تاريخيا- دط- مركز دراسات الوحدة العربية-لبنان- 1987- ص10.

6-عمار بن خروف- العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي- ج، -دار الأمل للطباعة والنشر- الجزائر- 2006-ج1- ص144.----7- زهراء النظام - العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية- ثقافية خلال القرن10هـ/16- ط1- دار الأمان- المغرب -2015- ص195.----8- أحمد بن خالد الناصري- الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى - تحقيق: جعفر الناصري- دار الكتاب- المغرب-1997-ج7-ص60.

9- صلاح العقاد- المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر، تونس،المغرب الأقصى-ط6-مكتبة الأنجلو مصرية- مصر- 1993- ص.52

10- أحمد توفيق المدني- حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ص331.

11- إبراهيم حركات- المغرب عبر التاريخ - ط1-دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء- المغرب-1978-ج2-ص286.

12-محمد نبيل ملين- السلطان الشريف الجذور الدينية والسياسية للدولة المغربية في المغرب-دط- منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي -الدار البيضاء- المغرب-2013- ص345.----13-قادة دين - الحدود عبر التاريخ-في مجلة عصور الجديدة، المجلد 7- العدد27- وهران- أكتوبر 2017- ص211.----

14- عبد الرحمان بن زيدان- العلائق السياسية للدولة العلوية، العلائق السياسية للدولة العلوية- تحقيق: عبد اللطيف الشاذلي-ط1- المطبعة الملكية - المغرب-1999-ص37 .

15-حسن شحاتة- أطوار العلاقات المغربية العثمانية : قراءة في تاريخ المغرب عبر خمسة قرون (1510-1947)-ط1- منشأة المعارف- الإسكندرية- مصر- 1981-ص375.----16- عمار بن خروف - العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب (1516-1659م) -رسالة ماجستير في التاريخ الحديث -كلية الأداب -جامعة دمشق - 1983-ص270.----17- محمد علي داهش- الدولة العثمانية والمغرب إشكالية الصراع والتحالف -ط1- دار الكتب العلمية-بيروت-2010-ص163.

18- عبد الكريم الفيلالي-التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير- ط1-شركة ناس للطباعة-القاهرة-2006- ج4-ص96.

19- محمد بنشريفة- ملامح من شخصية محمد الأول -في مجلة دعوة الحق- العدد 258-المغرب- أوت 1986- ص18.

20- أحمد بن خالد الناصري-المصدر السابق-ج7- ص36.----21- قدور بوزياني- المرجع السابق- ص33.----22- المرجع نفسه- ص34 .

23- قادة دين- المرجع السابق- ص213.----24- قدور بوزياني- المرجع السابق- ص34.----25- المرجع نفسه- ص.35

26- محمد علي داهش- المرجع السابق - ص75 .----27-نور الدين عبد القادر- صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي- ط1- دار الحضارة- الجزائر- 2006- ص130 .----28- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ج7- ص43.----29- إبراهيم حركات- المرجع السابق- ج3- ص27 .----30- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ج7- ص59-60.----31- أحمد الأزمي- بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية- أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف الخريفية تنسيق: عبد الوهاب بن منصور-د.ط-مركز الدراسات والبحوث العلوية - المغرب- 1989- ص183.----32- محمد علي داهش- المرجع السابق- ص76.----33- عبد الرحمان الجيلالي- تاريخ الجزائر العام- ط4- دار الثقافة- بيروت- 1980-ج3-ص190.----34- إبراهيم حركات-المرجع السابق -ج3- ص52-53.----35- محمد علي داهش- المرجع السابق - ص80.

36- صالح عباد-الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830- دار هومة- الجزائر- 2012- ص147.

37- يقع في منطقة البيض في الجنوب الغربي للجزائر،اشتهر بتعدد أقطابه الصوفية وأضرحته وزواياه، فسمي نسبة للولي الصالح أحمد بن سمغون، واشتهر القصر كمعبر للقوافل التجارية، ثم كممر للحجيج المتوجهين إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج .ينظر: محمد الكبير فيقيقي- "حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث"- في مجلة المواقف-العدد9- جامعة معسكر-الجزائر-2014- ص .306

38 - حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته: من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الأوربي-ط1- العصر الحديث للنشر والتوزيع-بيروت- المجلد 2-1992 - ص273.-----39- جلول المكي- مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب من 631 إلى 1263هـ/1234-1847م- تحت إشراف مولاي بالحميسي- مذكرة لنيل شهادة الماجستير-جامعة الجزائر-1993- ص118.

40- Ber Brugger- Des Frontieres de l' Algerie-la revuee Africaine- n24 -Octobre 1860-415.

41- عبد الرحمان بن خلدون عبد الرحمان- العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - ط3- بيروت- دار الكتاب اللبناني- بيروت-1996-ج6-ص133.----42- الحسن الوزان- وصف إفريقيا،تحقيق: محمد حجي-محمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي - لبنان-1983 - ج2- ص7.-----43- هو أبو عبد الله محمَّد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، المعروف بالحافظ التنسي، كان من أكابر علماء تلمسان ومحقِّقها، له تأليف منها: "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان". و"تعليق على فرعي ابن الحاجب"، و"جواب مطول على يهود توات"، ينظر محمد بن مخلوف- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية- تعليق: عبد المجيد خيالي- دار الكتب العلمية- لبنان-ج1- ص267.----44- أحمد بن سحنون-الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهرانيد ط- مطبعة البعث-الجزائر- 1973- ص434.----45- مبارك الميلي- تاريخ الجزائر القديم والحديث- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1976- ج2- ص440 .----46- زهراء النظام- المرجع السابق- ص195.----47- أحمد بن خالد الناصري- المصدر السابق- ج7 - ص26.----48- أبو راس الناصري: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته - تحقيق: محمد بن عبد الكريم - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر-1986- ص107.----49- محمد الصغير الإفراني- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي -ترجمة هوداس- باريس- 1889م- ص305 .----50- محمد ماكمان- الرحلات المغربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد-ط1- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الرباط- المغرب-2014- ص.477

51- عبد الله بن محمد العياشي-الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق: سعيد الفاضلي - سليمان القرشي -ط1- دار السويدي للنشر والتوزيع- الإمارات العربية المتحدة - 2006- ص107.----52-المصدر السابق-ص 107.----53- محمد ماكمان- المرجع السابق- ص478.----54- المرجع نفسه- ص 474 .-----55- نفسه - ص478.----56- أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن محمد الشرقي الإسحاقي (ت 1150هـ/1737م)،وزير المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، من مؤلفاته الرحلة التي كتبها بأوامر سياسية من المولى عبد الله، الذي ذهب إلى الحج ومعه وفد من العلماء كوفد رسمي رفقة خنائة زوجة المولى إسماعيل، وأم المولى عبد الله، الذي طلب من الإسحاقي تدوين تفاصيل الرحلة إلى الحج،فدونها بعد عودته من الحج فهي إلى جانب أنها رحلة حجية، فهي رسمية ترأسها الأميرة خنائة . ينظر: عبد الهادي التازي- رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة - دط - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي -- السعودية- 2005- ص291.----57- محمد ماكمان- المرجع السابق- ص478.----58- قادة الدين- المرجع السابق- ص 218.

59- السبتي غيلاني- علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية 1945-1962- رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة الحاج لخضر- باتنة-الجزائر- السنة الجامعية- 2009-2010- ص18.